

ديوان المرائي

١٣

لا الحزن يرجع من غابوا ولا الجَدُّ
يفنى الجميع ويبقى الواحد الأحد
هذي الحياة مطايا الموت دائبة
والشاهد الشمس والخضراء والأبد
والليل والصبح والحدباء بينهما
تمشي بركبانها تهفو وتتند
والناس مذ خلقوا والأرض مذ عمرت
سلها ففي جوفها الآباء والولد
أم لهم فهي تغذوهم وترفدهم
حباً وتقتاتهم كرهاً إذا لحدوا
والموت حارس أهليها وقاتلهم
جهرراً وليس لهم ثأر ولا قُودُ
والمهد لحد فإن رابتك رائبة
جلا غواشيها فيما اعتراك غد

●●●

خلصت لله يا أنقى الرجال يداً
ونية كالضحى ما شابها أود
أمت فيهِ حظوظ النفس فاتشحت
بالطهر غالية أبراده جُدد
فكان سعيك للرحمن أجمعه
وزين السعي قبل الصدق معتقد

●●●

بقية السلف الأبرار قد كرموا
وأنت فيهم ومنهم نجمة تقد
أنت المجلي إذا التقوى زهت فرحاً
بالأتقياء وبان الصدق والفند
وواحة بالهدى والصدق عامرة
وقد تلاقي عليها الفضل والرشد
والحلم في عزة والحزم في أدب
والنصح في حذب والصبر والجلد
وصولة الأكرمين الغر إن غضبوا
وخشعة الأكرمين الغر إن زهدوا

شعر

د. حيدر الغدير



أَبْقَى مِنَ الْمَالِ مَا أَبْقَيْتَ مِنْ عَمَلٍ
يَزْهَوُ بِهِ وَهُوَ فِي عِلْيَائِهِ الرَّأدُ
يَحْيَا بِرُوحِكَ إِذْ كَانَتْ لَهُ نَسْغًا
وَأَنْتَ تَحْيَا بِهِ مَا وَارِدُوهُ شَدَا
بِأَيَّةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ نَاضِرَةٌ
تَتَلَّى فِيخْشَعُ فِي أَمْدَائِهِ الْأَبَدُ
فِي (نَدْوَةٍ) قَدْتَهَا غَرَاءُ عَامِرَةٌ
بِالْمُتَّقِينَ عَلَى سَاحَاتِهَا احْتَشَدُوا
عَزَتْ بِهِمْ مِثْلَمَا عَزَتْ بِسَيِّدِهَا
وَعَزَّ نَاسٌ إِلَى أَفْضَالِهَا وَرَدُوا
صَرَحَ أَقَمْتَ عَلَى التَّوْحِيدِ رَايَتَهُ
وَقَامَ يَعْليهِه أُنْبَاءٌ لَهُ نُجُبٌ

رَضِيتَ طَبَعَ الْأَلَى عَزَتْ مَعَادِنُهُمْ
إِذْ جَاءَكَ الْعَيْشُ فِيهِ اللَّيْنُ وَالْغِيدُ
حَسَنَاءُ فَتَانَةٌ كَالشَّمْسِ طَلَعَتْهَا
أَحْلَى مِنَ الْحِلْمِ مَا جَاءَتْ بِهِ تَعَدُ
فَقُلْتَ كَلَّا لَقَدْ آثَرْتُ أَخْرَتِي
فَهِيَ الْغَنَى وَالَّذِي تَحِبُّونَهُ زَبْدُ
كَأَنَّكَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ أَوْ عَمْرُ
أَوْ الْغَزَالِيَّ زَانُوا الدَّهْرَ إِذْ زَهَدُوا
بِكُلِّ نَعْمَاءٍ إِذْ جَاءَتْ تَرَاوَدُّهُمْ
فَمَا أَجَابُوا وَلِلْبَاقِي غَدًا نَهَدُوا

يَا مَنْ مَلَكَ الدُّنْيَا لَمَّا زَهَدْتَ بِهَا
وَشَمْتَ أَنْ غَوَالِي كَنْزِهَا بَدَدَ
كُنْتَ الْعَفِيفَ الَّذِي قَدْ صَانَ نِيَّتَهُ
عَمَّا يَشِينُ كَمَا صَانَ الْحَمَى الْأَسَدُ
تَدْنُو إِلَى الْمَاءِ صَدْيَانِ الْحَشَا فَإِذَا
مَنُوا عَلَيْكَ بِهِ تَنَأَى فَلَا تَرُدُ

لَأَنْ زَهْدَكَ زَهْدُ الصَّادِقِينَ لَهُمْ
عَزَمَ عَلَى صَهْوَةِ الْإِخْلَاصِ مَنْعَقَدُ
لَهُمْ يَدٌ بَيْنَنَا تَمْتَدُّ وَاهِبَةٌ
أَعَزَّ مِنْهَا لَدِيهِمْ فِي النُّجُومِ يَدُ
وَدُونَهُمْ أَهْلُ دَعَاوَى أَنَّهُمْ زَهَدُوا
وَيَعْلَمُ اللَّهُ مَا عَفَاوَا وَمَا زَهَدُوا
بَاعُوا بِفَانِيَةٍ دِينًا وَقَدْ لَبَسُوا
مِنَ الْهَدْيِ ثَوْبَهُ لَكُنْهُمْ مَرَدُوا
وَتَاجَرُوا بِالْهَدْيِ يَا بؤْسَ مَا صَنَعُوا
غَدًا سَيَاتُونَ فِي أَعْنَاقِهِمْ مَسَدُ

رَضِيتَ عَيْشَ سَرَاةِ الزَّهْدِ قَدْ فَرَحُوا
بِأَنَّهُمْ صَدَقُوا الْوَعْدَ الَّذِي وَعَدُوا
وَأَسْرَجُوا عَزْمَهُمْ خِيَالًا لَهَا جِلْدُ
وَأَسْهَرُوا لَيْلَهُمْ لِلَّهِ وَاجْتَهَدُوا
رَأَوْا تَجَارَتَهُمْ أَبْقَى فَكَسَرْتَهُمْ
شَهِدَ وَأَسْمَالَهُمْ فِي فَقْرِهَا رَغْدُ
لَهُمْ مِنَ الشُّكْرِ أَحْرَازٌ وَوَاقِيَةٌ
وَمِنْ جَمِيلِ رِضَاهُمْ بَلْبَلُ غَرْدُ
وَمَنْ تَعَالَى عَلَى الدُّنْيَا وَزَهَرَتْهَا
حَصْنٌ هُوَ الْعَدَدُ الْمَذْخُورُ وَالْعُدَدُ
قَدْ عَطَّرَتْ سِيرَةَ التَّارِيخِ سَيْرَتَهُمْ
بِمَا أَتَوْهُ مِنَ التَّقْوَى وَمَا اعْتَقَدُوا
حَلَوْا ذَرَاءَ وَأَهْدَوْهَا نَفَائْسَهُمْ
وَعَانَقُوا الشَّمْسَ دُونَ النَّاسِ وَانْفَرَدُوا

تَكْسُوهُمْ الْعَقَّةُ الْفِيحَاءُ أَوْسَمَةٌ
فِيحَاءٌ يَحْيُونَ فِيهَا حَيْثُمَا قَصَدُوا
مَنْعَمِينَ وَإِنْ جَاعُوا وَإِنْ شَبِعُوا
مَنْعَمِينَ وَإِنْ دُمُّوا وَإِنْ حُمِدُوا
مَرْزُئِينَ وَفِي الْأَرْزَاءِ بِسَمْتِهِمْ
كَأَنَّهُ الْوَرْدُ فِيهِ الطَّيِّبُ وَالْمَلْدُ

محسدين وغير الزهد ما ملكوا
محسدين وقد عزوا بما فقدوا
محسدين ولا تعجب وحاسدهم
يرثي له (وتمام النعمة الحسد)

●●●

رضيت أسقامك الغرثي فلا صخب
ولا شكاة ولا حزن ولا كمد
شكرتها وجذاها فيك حارقة
وأنت بالصبر والتسبيح تبترد
رأيتها محنة في طيها نعم
ومنة حفاها الإحسان والرغد
لأنك المرء بالأقدار قد رضيت
نفس له فهناء كل ما تجد
والداء أنيابه حمراء دامية
يظل يشتر لا يألو ويقتصد
وأنت تحبوه تحناناً ومرحمة
كالسيد الشهم يحبو الضيف إن وفدوا

●●●

نظرت في هذه الدنيا فما طرفت
عيناك فيها بما يرجى ويفتقد
ومارنوت لها بل كنت سيدها
وكنت سيد من عفوا ومن زهدوا
سموت عن رغب فيها وعن رهب
وحاديك اليقين السمع والصيد
وفيك فيض سماح بالندى خضل
من دونه كل ما المثرون قد حشدوا
وألف كنز تظل الدهر واهبة
نعماءها الناس من ضلوا ومن رشدوا
تربو على البذل إذ تحبو كرائمها
كأنما البذل يغنيها فتطرّد
أنهبتها الناس مسروراً كوالدة
تحبو بنيتها وقد جاعوا وقد جهدوا

وكننت كاسمك بين الناس طيبة
أخباره إن هم قاموا وإن قعدوا
يروونها كالهدايا وهي زاهرة
كأنها المسك لما ضاع والشهد
(كانت محادثة الركبان تخبرهم
عنك الغوالي وقد سألت بها البرد)
(حتى التقوك فلا والله ما سمعت
أذن بأحسن مما فيك قد شهدوا)

●●●

أبا البها ليل من عرب ومن عجم
شبووا على سمنتك الميمون واجتهدوا
بكنتك أفئدة منهم وألسنة
وقبل أدمعهم وهي السها الكبد
بكوا أبوتك الزهراء صافية
وعاينوا الرزء لما جل وافتقدوا
لكن روحك وهي البرة ابتسمت
شوقاً إلى الملاء الأعلى وقد سعدوا
فشاع فيهم رضاء كالضحى عبق
واستقبلوا النعي لا حزن ولا كمد

●●●

أبي الأجل وأستاذي إليك يدي
مددتها وأنا أزهو وأحتشد
بها كتبت بكل الحب قافيتي
فهل شفت بعض ما أشكو وما أجد
ياليت لي مثل قبر أنت ساكنه
عساي ألقى الذي لاقيت إذ أفد

●●●

لبيت أحلى نداء عشت ترقبه
لما دعاك إليه الواحد الصمد
وقلت والبشر ريان ومؤتلق
قد طاب أمسي وأرجو أن يطيب غد
لوحت للناس إذ ودعتهم بيد
لما دعتك إلى دار البقاء يد